نهاية الخائن

محمود سالم

نهاية الخائن

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

نهاية الخائن

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٧٤٦ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الرجل الروبوت	١١
لغة المليارات	١٥
رحلة على الجليد	١٩
حدث في الليل	٢٣
الرجل الغريب	٢٧
بين نارين	٣١
مفاجأة في القطار	٣٥
أحداث في الظلام	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الرجل الروبوت

جلَس «أحمد» في مطار «نابولي» في انتظار إقلاع الطائرة التي ستُقلُّه إلى «روما» ... وكان يَتذكَّر الأيام القليلة الماضية وما جرى فيها ...

تذكَّر عندما طلبه رقم «صفر»، وقال له إن هناك خائنًا في صفوف العاملين في منظمة «ش. ك. س» ... وإن نتيجة هذه الخيانة كانت مصرع عملاء رقم «صفر» في «باريس» و«مدريد» و«روما» ... وإنه من المُمكن أن يسقط آخرون نتيجة هذه الخيانة ... بل إنَّ المنظَّمة كلها معرَّضةٌ للخطر الشديد؛ لأنه ما زال هذا الخائن موجودًا بين صفوفها ...

لقد كان آخر القتلى «جياكومو» من «نابولي»، ولم يكن سفر «أحمد» إلى «نابولي» واللقاء مع «مادونا» ابنة «جياكومو» ... ومُحاولة اقتحام منزل «جياكومو» للبحث عن الأشرطة، والمستنَدات والوثائق ... ومحاولة قتل «أحمد» في الشارع ... وكيف استطاع أن يُخلِّص «مادونا» من الهجوم؛ كل هذا يُؤكِّد أن الخائن شخصٌ قريبٌ.

والآن ها هو في مطار «نابولي» مسافرٌ إلى «روما» لمقابلة أحد رجال «بليك» المسئول عن رجال المنظمة في أوروبا. كان في رأس «أحمد» شكوكٌ كثيرةٌ حول شخصية الخائن ... ولكنه لا يستطيع أن يقول اسمه؛ فقد يعلم، ثم يكون الانتقام من «أحمد» شخصيًّا ... وليس مهمًّا شخص «أحمد»، ولكن ربما لا يستطع أحد غيره أن يعرف من هو «الخائن»، وهكذا يستطيع أن يُدمِّر المنظمة ...

ارتفع صوت الميكروفون يعلن عن قيام الرحلة رقم ١٣٣ إلى «روما» ... ولكن «أحمد» أسرع إلى كابينة التليفون، حيث طلب «مادونا».

كان صوت الفتاة يَخفق في التليفون وهي تردُّ: ألم تُسافر بعد؟

أحمد: بقيت دقائق ... أردت أن أتَّصل بك ... فقد خطرتْ لي فكرة.

مادونا: ما هي؟

أحمد: سأُرسل في طلب فتاتَين من الشياطين تُقيمان معك.

مادونا: وماذا يُمكنهما أن تفعلا؟ ...

أحمد: تفعلان الكثير ... إن كلًّا منهما تُساوي عشرة رجال.

مادونا: غير معقولٍ.

أحمد: هذا صحيح ... سأتَّصل بك من «روما».

مادونا: تشاو.

أحمد: تشاو ... أو إلى اللقاء باللغة العربية.

أسرع «أحمد» إلى الطائرة، وأخذ يتذكَّر المعلومات التي قالها له «بليك» عن الرجل الذي سيُقابله في مطار «روما» ... اسمه «مارك» يرتدي حُلَّةً رماديةً وقميصًا أزرق، وربطة عنقٍ حمراء ... ووردة حمراء أيضًا في عُروة الجاكت ...

لم تَستغرِق الرحلة أكثر من ساعةٍ ... ووجد «أحمد» نفسه في مطار «روما»، ولم يكن من الصعب التعرف على «مارك»؛ فقد كان يضع وردةً حمراء ضخمةً ... وربطة عنق حمراء داكنة اللون.

كان رجلًا سمينًا يشبه موظف في بنكٍ ... وُدهش «أحمد» لأن يكون هذا الرجل السمين القصير من أعوان «بليك».

اتجه إليه «أحمد» على الفور ... وتبادَلا بضع كلماتٍ شفريةٍ ...

قال «أحمد»: إن «روما» مدينةٌ مفتوحةٌ.

ردَّ «مارك»: كانت.

أحمد: ولكن ما زالت الفورماجينو رائعة.

مارك: هل تحبُّها؟

أحمد: إنها أروع أنواع الجبن في العالم.

وكان «أحمد» يحبُّ الفورماجينو فعلًا ... فقد كانت نوعًا رائعًا من الجبن، وأحيانًا عندما يكون في إيطاليا، كان يأكُل ربع كيلو منها في الوجبة الواحدة ...

سارا معًا إلى خارج المطار ... وكانت في انتظارهما سيارةٌ مرسيدس سوداء ... بها تليفونٌ ... وسائق ... وقام «مارك» بالاتِّصال تليفونيًّا، وقال كلمةً واحدةً: «وصل.»

وكانت أذنا «أحمد» المدربتَين على الاستماع ... تلتقطان الرقم الذي طلبه «مارك»، وهو يُخفي قرص التليفون ... ومرةً أخرى أدرك «أحمد» أن هذا الرقم ليس غريبًا عليه، فلقد سمعه المرة الأولى في منزل «مادونا».

قطعت السيارة شوارع «روما» التي بلَّلها المطر ... حتى وصلت إلى حدائق «بورجينري»، وقال «مارك»: ستنزل في هذه الفيلا.

ثم أشار بإصبعه إلى فيلا صغيرة قابعة في الظلام، وحولها حديقة وسور مرتفع ...

وعاد «مارك» يقول: استمتِع بوقتك ... وسوف نتصل بك.

نزل «أحمد» من السيارة، ووجد حارسًا على باب الحديقة حيَّاه «أحمد»، ثم دخل واجتاز الحديقة ... ورغم المطر والظلام، كان في إمكانه أن يُحسَّ أن هناك رجالًا يتحركون في الظلام ...

دون أن يدقَّ الجرس فتح الباب ... وشاهد «أحمد» أغرب شخصٍ رآه في حياته ... كان رجلًا شديد الطول، حتى إن رأسه يكاد يصل إلى الباب ... أصلع الرأس ... ضخم الفم والفكين ينظر نظرةً ثابتةً كأن عينَيه من زجاج ... ويتحرَّك ببطء كأنه «روبوت».

انحنى الرجل دون كلمةٍ واحدةٍ، ثم سار أمام «أحمد» ... كانت صالة الفيلا صغيرةً ... ومزدحمةً بالتماثيل واللوحات، يسودُها جوٌّ مُتوترٌ رغم الإضاءة القوية ... وصعد الرجل سلَّم الفيلا الداخِلي، وصعد «أحمد» خلفه، ولاحظ وجود انتفاخ تحت ذراعِه الأيسَر، وعرف أنه يَحمل مسدسًا ضخمًا ...

قاد الرجل «أحمد» إلى غرفة نومٍ فتحها دون أن يَتكلَّم، وأشار إلى «أحمد» بالدخول، ثم أشار إلى جرسٍ بجوار الفراش، وقال في كلماتٍ بطيئةٍ باردةٍ: إذا شئت شيئًا دُق الجرس.

وخرج الرجل، وأغلق الباب خلفه ... وكان أول ما فعله «أحمد» أن فكَّ جهاز التليفون بحذرٍ ... ومهارةٍ ... وعرف على الفور أن جهاز التليفون متَّصلٌ بجهازٍ آخر ... وأن من الممكن الاستماع إلى أيِّ حديثٍ ... وكان يتمنَّى أن يتَّصل بـ «مادونا» ... ولكن خشيَ أن يتصل فقد يُعرِّضها اتصاله بها للخطر.

قام «أحمد» ودار دورةً في الغرفة ... فتح النافذة الوحيدة التي بها ... كانت تُطلُّ على الجانب الخلفي للحديقة ... ودون حاجةٍ إلى البحث أدرك أنه مُراقَبٌ.

دُهش «أحمد» كثيرًا لما يحدث ... فالمفروض أنه في ضيافة زملاء له ... وعلى رأسهم «بليك» مسئول مجموعة العملاء في أوروبا ... فلماذا كل هذه الرقابة التليفونية والبشرية؟ ...

تُرى هل وقع في كمينٍ؟ ... ومن هو الذي أعدَّ الكمين؟

هل يتَّصل بـ «بليك» ويُخبرُه؟

إنَّ تليفونه مُراقَبٌ ... وقد يَحدث ما لا تُحمد عُقباه ... خلع ثيابه وارتدى جلابية ... ثم تمدَّد على الفراش.

لغة المليارات

استسلم «أحمد» للنوم بعد يومٍ شاقٍّ ... ولم يدرِ كم من الوقت مضى، ولكنه استيقَظ على رنين جرس التليفون ... رفع السماعة على الفور، واستمع إلى صوت «بليك» يتحدَّث إليه بمرح: هاللو «أحمد» مرحبًا بك في «روما».

أحمد: شكرًا لك.

بليك: ماذا تفعل؟

أحمد: بين اليقظة والنوم.

بليك: الساعة الآن مُنتصَف الليل، هل يُمكن أن نذهب في مهمةٍ؟

أحمد: طبعًا.

بليك: سيخرج معك «هومو» إنه ...

أحمد: من هو «هومو»؟

بليك: إنه الرجل الذي استقبلك.

أحمد: هذا «الروبوت».

ضحك «بليك» قائلًا: إنه يُشبه «الروبوت» فعلًا ... ولكنه نافعٌ جدًّا.

أحمد: إنه مُرعبٌ.

ضحك «بليك» مرةً أُخرى، وقال: ولكنه رجلٌ مُخلصٌ ... إنه يُنفِّذ ما يُطلَب منه.

أحمد: ولكنه أرعبني.

بليك: إنه يعمل معك ... وعلى استعدادٍ لتنفيذ كل أوامرك.

أحمد: عظيم، وما هي المهمة؟

بليك: إنها مهمةٌ صعبةٌ ... ولكنها ضروريةٌ ... إن رجالنا للأسف معروفين في بعض الأوساط ... ونحن في حاجةٍ إلى رجلٍ لا يعرفه أحدٌ ... وأنت خيرُ من يقوم بهذه المهمة!

أحمد: إنني أستمع ...

بليك: لعلك قرأت مؤخرًا عن سرقة تكنولوجيا الكومبيوتر العملاق الذي صنعتْه أمريكا لاستكشاف الصواريخ السوفيتية وتدميرها على الأرض أو في الهواء.

أحمد: إنها قضيةٌ تناولتها الصحافة كثيرًا.

بليك: إن هذا الكومبيوتر العملاق يُجري مليار عملية في الثانية.

أحمد: مليار!

بليك: نعم.

أحمد: إنه شيءٌ يستحقُّ الانتباه!

بليك: لهذا فنحن نسعى للحصول على الرسومات الخاصة بهذا الكومبيوتر، وقد علمنا من مصادر سريةٍ أن هذه الرسومات سوف يقوم بتسليمها ثلاثة أشخاصٍ إلى رجلٍ غريبٍ مقابل ٣٠٠ مليون دولار.

أحمد: وما هي الخطة؟

بليك: الخطة أن نترك الرجل الغريب يتسلَّم هذه الرسومات ويَدفع الثمن ... ثم نقوم نحن بالاستيلاء عليها منه.

أحمد: خطةٌ بسيطةٌ.

بليك: نعم ... ولكن التنفيذ صعبٌ، فنحن لا نَعرف هل سيأتي هذا الرجل وحده أو هناك حراسة معه.

أحمد: من البديهي أن تكون هناك حراسةٌ معه؛ فمثل هذه العمليات الضَّخمة لا يمكن أن تترك لرجلٍ واحدٍ.

بليك: هذا ما فكَّرنا فيه تمامًا ... إن التسليم عند قمة «سان أنطوان» في سويسرا قرب زيورخ.

أحمد: كيف؟

بليك: في هذا المكان السياحي المُزدحم في فصل الشتاء، سيقوم الرجال الثلاثة بحمل الرسومات عند نهاية خط «التلفريك» بين الفندق وقمة «سان أنطوان» وأنت تعرف أن «التلفريك» هو خطٌّ هوائيٌّ لنوعٍ من الأتوبيس المعلَّق في الهواء على أسلاك.

أحمد: نعم ... أعرفه.

بليك: ستركب مع «هومو» هذا التلفريك إلى قمة «سان أنطوان»، وبعدها ستذهبان إلى كوخٍ مهجورٍ في الغابة، حيث يتمُّ التسليم والتسلُّم وبعد انصراف الثلاثة سيكون الرجل الغريب وحده أو مع حراسةٍ ... وطبعًا سوف تعرفان ما يدور هناك.

أحمد: مسألةٌ بسيطةٌ.

بليك: عليكما انتظار خروج الرجل الغريب، ثم القضاء عليه والحصول على الرسومات الخاصة بالكومبيوتر.

أحمد: هل المعلومات وثيقةٌ.

بليك: إن أهمَّ شيءٍ في هذه العملية أن المعلومات دقيقة ... ولم يحصل عليها أي إنسانٍ سوى المنظَّمة، فقد أُحيطت بقدرٍ كبيرٍ من السرية.

أحمد: هل لي أن أعرف كيف توصَّلتم إلى المعلومات.

بليك: المسألة بسيطةٌ ... أحد الرجال الثلاثة الذين سيُسلِّمون الرسومات هو الذي أخبرنا، مقابل بضعة ملايين من الدولارات له ... إنه لا يُهمُّه من الذي سيَستولي على الرسومات في النهاية ... المهم أن يُضيف إلى المائة مليون دولار التي سيَتقاضاها عشرة ملايين دولار أخرى.

أحمد: إنه شرهٌ للغاية.

بليك ضاحكًا: إنك مثاليٌّ.

أحمد: ومتى نبدأ.

بليك: غدًا صباحًا ستأخُذان الطائرة إلى زيورخ، وستَقضيان ليلةً هناك، وفي الصباح ستركبان القطار إلى «سان أنطوان».

أحمد: هذه عمليةٌ تحتاج إلى سلاحٍ.

بليك: طبعًا ... إن «هومو» رجلٌ منظَّمٌ جدًّا ... وستجد كل شيءٍ مُعدًّا.

أحمد: سأتحدَّث إليك بعد إنجاز المهمَّة.

بليك: كن على حذرٍ ... فالمسألة عالَميةٌ، ويُهمُّنا جدًّا الحصول على الرسومات.

أحمد: أرجو ذلك.

وضع «أحمد» سماعة التليفون، ثم ضغط الجرس ... وبعد لحظاتٍ ظهر «هومو» ... قال «أحمد»: سنُسافر في الصباح إلى «زيورخ».

هومو: التذاكر جاهِزةٌ.

أحمد: هل عندك أسلحةٌ كافيةٌ.

هومو: الأسلحة موجودةٌ في «زيورخ».

أحمد: هل تعرف المهمَّة.

هومو: طبعًا.

أحمد: ما هي نسبة المخاطَرة فيها.

هومو: مثل كل مخاطرةٍ أخرى، خمسون في المائة.

أحمد: هل أستطيع أن أتناول بعض الطعام.

هومو: إنَّ المطبخ تحت أمرك.

أحمد: فقط ساندوتشات.

هومو: ستكون جاهزةً خلال خمس دقائق.

بعد خمس دقائق بالضبط ... ظهر «هومو» ومعه الطعام ... ودُهش «أحمد» لدقَّة الرجل وقدرته التنظيمية.

رحلة على الجليد

كانت الثلوج تهطل بغزارةٍ في سماء «زيورخ»، والطائرة من طراز «دي س١٠» تتأرجَح تحت وطأة الثلوج، وعصف الريح، ولاحَظَ «أحمد» أن زميله «مارك» يبدو مُضطربًا ... ثم نظر إلى «هومو» فوجده يجلس صامتًا نابتًا كأنه يجلس في صالون منزله.

وأخذ «أحمد» ينظر من خلال زجاج النافذة التي تكاثر عليها؛ ليتفرَّج ويرى قمم الجبال التي غطَّتها الثلوج، وبعد ساعاتٍ سيكون هناك عند قمة «سان أنطوان».

وأخذت الطائرة تئنُّ، وهي تهبط على أرض المطار، وكان «أحمد» يعرف أنهم يَرشُّون الثلوج التي تُغطِّي ممرات الهبوط بسائلٍ خاصٍّ لإذابة الثلج ... وإلا انزلقت الطائرة، وحطمت ما في طريقها ...

وتوقفت الطائرة ... ثم توقفت المحركات ... وبدأ الركاب يقفون استعدادًا للنزول، وعندما خرجوا من المطار، قاد «هومو» سيارةً سوداء طراز «بي إم دبليو»، وركب «أحمد» و«مارك» في المقعد الخلفي ...

قال «مارك»: ظروفٌ جويةٌ سيئةٌ.

أحمد: هل هذا يُعطِّل ذهابنا إلى «سان أنطوان».

مارك: مطلقًا، إننا لا بد أن نصل في الموعد ... إن الرجل الذي سيسلمنا الرسومات لن ينتظر دقيقةً واحدة.

أحمد: متى نذهب.

مارك: إننا ذاهبون الآن، فموعدنا مع الرجل فجر الغد، وسنأخذ أول «تلفريك» إلى هناك ... حيث يقع الكوخ بين أشجار الغابة.

ساد الصمت، والسيارة تَمضي ببطءٍ على الأرض الزلقة ... ومضت ساعتان و«أحمد» يفكر في المغامرة القادمة، وفي «مادونا» التي تركها في «نابولي»، وفجأة قال «مارك»: هل كنت تعرف «جياكومو».

أحمد: لا ... لم أعمل معه من قبل.

مارك: شيءٌ مُدهشٌ أن يُقتَل هذا الرجل ... لقد كان شديد الحذر ... شديد البراعة في استخدام الأسلحة.

أحمد: هل عملتَ معه.

مارك: نعم ... ولكن في عمليةٍ واحدةٍ، وقد أعجبتني جدًّا قدرته على التنظيم والتنفيذ.

أحمد: لقد قتلته الخيانة.

مارك: كيف.

أدرك «أحمد» أن لسانه انزلق في الكلام، ولعلَّ «مارك» هذا لا يعرف شيئًا عمَّا يحدث داخل المنظَّمة، فقال: يقولون إن أحد الأشخاص وشى به لدى عصابة الخنجر الأسود.

مارك: هل تعني أنهم كانوا يَعرفون خطواته مُقدمًا.

أحمد: شيءٌ من هذا القبيل.

مارك: وهل حضورك إلى «نابولي» كان لهذا السبب.

أحمد: لا، لقد حضرت لتعزية أسرة «جياكومو» فقط.

عندما وصلوا إلى القرية الصغيرة النائمة تحت سفح جبل «سان أنطوان» كان الظلام قد خيَّم على الدنيا، وبدَت مئات المصابيح تُشعُّ ضوءًا خافتًا، كأنها تتنفَّس ببطءٍ في الجو القارس البرد.

صعد «أحمد» إلى غرفتِه التي كانت تقع بين غرفة «هومو» وغرفة «مارك» ... وتمدَّد على الفراش يُفكِّر في الساعات القادِمة والمُهمَّة التي يتولَّاها وفكَّر في «مادونا»، وعلى الفور رفع سماعة التليفون واتَّصل بها ... ردَّت الأم وقالت إنها خرَجَت مع صديقتَين في جولة بالمدينة.

أحمد: إيطاليتَين.

الأم: لا، إنَّهما من العرب.

عرف «أحمد» ... أن رسالته إلى رقم «صفر» قد وصلت، وأن الفتاتَين من مجموعة الشياطين وأحسَّ بارتياحٍ شديدٍ، وقفز من الفراش ... وفتح الباب وخرج ولدهشتِه الشديدة سمع باب «هومو» يفتح وظهر العملاق، وقال «أحمد»: إنني أريد أن أتناول عشائي ...

هومو: سنَنزل جميعًا.

ودقَّ باب «مارك» الذي خرج على الفور، ونزل الثلاثة إلى المطعم ... وعندما جلسوا لاحظ «أحمد» أن «هومو» ينظر في اتجاهٍ معيَّنٍ، وقد بدا عليه لأول مرة الانفعال.

نظر «أحمد» إلى حيث يَنظر «هومو» ووجد رجلًا أنيقًا يضع ساقًا على ساقٍ، وقد انهمَكَ في قراءة صحيفةٍ ... كان رجلًا متوسط العمر بادي الذكاء والقوة، وكان مُستغرقًا في القراءة، دون أن يُعير التفاتًا إلى أي شيءٍ آخر ...

تظاهر «هومو» بأنه يعدل مفرش المائدة ... ثم قال لـ «أحمد»: هل ستَخرج هذه الليلة.

أحمد: إلى أين.

هومو: لعلك تُريد معرفة أنواع الأسلحة التي نُعدُّها لمعركة الغد.

أحمد: في هذه الحالة يُهمني جدًّا أن أخرج.

هومو: بعد تناول العشاء سنَخرج معًا لهذا الغرض.

جاء العشاء ... تناوله «أحمد» بشهيةٍ مفتوحةٍ؛ فقد كان سعيدًا لأنَّ «مادونا» وجدت الحماية، وعليه الآن أن يَتفرَّغ لمهمَّة الحصول على الوثائق المهمة ورسومات العقل ... الإلكتروني العملاق ...

عندما قرَّروا الخروج، حرص «أحمد» على المرور بالقرب من الرجل الأنيق، كان لا يزال مُنهمِكًا في قراءة جريدة «التايمز» الإنجليزية ...

ركبوا نفس السيارة، وقادَها «هومو» في حرصٍ وحذرٍ على الطريق المغطَّى بالجليد، ودخلوا في نفقٍ صغيرٍ، ثم انحرَفُوا يمينًا إلى بابٍ في سور حديقةٍ فتح على الفور، واجتازوا الباب إلى فيلا صغيرةٍ، دخلُوها ... وقادَهما «هومو» إلى سلم يَنزل إلى قبو، فتحه، وأضاء النور، وشاهد «أحمد» معرضًا رائعًا للأسلحة من كل نوعٍ ... من الرشاشات إلى البنادق السريعة الطلقات، والمسدسات ... والخناجر، والقنابل اليدوية وبجوار هذه الأسلحة مجموعة من أدوات التزحلق على الجليد.

اختاروا مجموعة من الأسلحة التي تُناسِب المهمَّة ... وكان ضمن ما اختاره «أحمد» خنجرًا رفيعًا، ولكنه صلبٌ، ثم حملوا أدوات الانزلاق وخرجوا ... وعند مرورهم على أحد المحلات، اشترى «أحمد» مجموعة من الجرائد بينها جريدة «التايمز» ...

وعادوا إلى الفندق، وصعد «أحمد» إلى غرفته على الفور ... وتمدَّد على فراشه، وأمسك بجريدة «التايمز»، وأخذ يَفحصها ...

وفجأةً في إحدى الصفحات الداخلية شاهد صورة رجلٍ ... نفس الرجل الذي كان يقرأ الجريدة ... وقد كُتب تحت الصورة «والترولیامز» ... أما المقال فكان عن تجارة السلاح في العالم ...

وأخذ «أحمد» يقرأ المقال باهتمامٍ، وعرف أن «والترولیامز» اسمٌ مستعارٌ لتاجرٍ من أكبر تجار الأسلحة في العالم، كان هناك بعض الاختلاف في الملامح، ولكن نظرة «أحمد» الفاحصة أكَّدت أنه نفس الشخص.

حدث في الليل

عندما انتصف الليل خُيِّل لـ «أحمد» أنه يسمع حركةً في الغرفة المجاورة ... غرفة «هومو» ... فأصغى السمع، وسمع خطوات «هومو» الحذرة، ثم سمع باب غرفته يفتح ويغلق بهدوءٍ فقفز من فراشه، وانتظر نصف دقيقةٍ، ثم فتح هو أيضًا الباب، وشاهد «هومو» عند رأس السلَّم، وهو ينزل محاذرًا ... تسلَّل «أحمد» خلف «هومو»، ونزل السلم بعده بمسافةٍ كافيةٍ، حتى لا يشعر به ...

خرج «هومو» إلى ساحة الفندق ... توقف قليلًا ... كان الجو قارسَ البرودة ... وكان «هومو» يحمل شيئًا ملفوفًا تحت إبطه ... وبعد لحظاتٍ ظهر «والتروليامز» ... كان يركب سيارة يقودها بنفسه ... وأسرع «هومو» إليه ... بينما أسرع «أحمد» إلى السيارة السوداء الـ «بي-إم-دبليو» السوداء التي جاء بها مع «مارك» و«هومو»، ولحُسنِ الحظ وجد المفاتيح في السيارة.

انتظر لحظاتٍ حتى تحركت سيارة «والتر»، ثم أدار المحرِّك، وانطلق ... كانت الطرقات التي غطَّتها الثلوج خاليةً من المارة ... عدا بعض سياراتٍ تمرُق هنا، وهناك ... ظلت سيارة «والتر» تسير بسرعةٍ معتدلةٍ، حتى خرجت من القرية ... ووصلت إلى مزرعةٍ ضخمةٍ يحيط بها سورٌ مرتفعٌ.

فُتح السور على الفور ومرقت السيارة منه ... ثم أغلق على الفور ... دار «أحمد» بالسيارة حول السور المرتفع ... واختار شجرةً عاليةً بجوار السور، قرر أن يتسلَّقها ويدخل الفيلا القابعة وسط الثلوج.

وركن السيارة ونزل، وتسلَّق الشجرة ... ولكنه لم يكدْ يقترب من السور، حتى هدته حاسته إلى شيءٍ ... إن السور مكهربٌ، ويمكن أن يصعقه على الفور ... وفكر في نفس الوقت أنه يعمل مع أصدقاء.

فـ «مارك» و«هومو» كلاهما من رجال «بليك» رئيس شبكة عملاء رقم «صفر» في أوروبا، والتعليمات التي تلقَّاها من رقم «صفر» أن يتعاون مع «بليك» في الوصول إلى شخصية الخائن في المنظمة، فلا داعي لإثارة مشاكل وهو على وشك القيام بمهمَّةٍ صعبةٍ للحصول على رسومات العقل الإلكتروني …

عاد «أحمد» إلى السيارة، وانطلق عائدًا، وكانت الليلة شديدةَ البرودة، فلم يلمح أحدًا في الطريق حتى اقترب من الفندق … وكم كانت دهشته عندما وجد سيارات الشرطة تُحيط بالمكان، وهي تُطلق أضواءها الحمراء الكاشفة … وأحسَّ «أحمد» بخطرٍ … فهُم يقومون بمهمةٍ خطيرةٍ … وهناك أسلحةٌ في الغُرَف، ومن الممكن أن يكون الخائن عرف كل شيءٍ، فأطلق رجال الشرطة في أثرهم …

ركن «أحمد» السيارة في مكانٍ مُظلمٍ، بعيدًا عن أعين رجال الشرطة، ثم سار متلصِّصًا … حتى وصل بجانب شخصين يتحدَّثان، عرف في أحدهما موظف الاستقبال الذي كان يتحدث مع الواقف معه.

كان موظَّف الاستقبال يقول: لقد جاء الثلاثة معًا … الرجل الطويل الغريب ذو الوجه الصارم، والشاب ذو الملامح الشرقية، والثالث الذي قُتل.

وقعت كلمة القتل على «أحمد» كالصاعقة، فمعنى كلام موظف الاستقبال أن القتيل هو «مارك» … إذن فقد سارع الخائن وضرَب ضربته، ولولا أنه خرج خلف «هومو» ربما كان هو المُستهدَف بالقتل، أو الثلاثة معًا …

انسحب «أحمد» مُسرعًا، كان يريد أن يُبلغ «هومو» بما حدث قبل أن يدخل الفندق …

وقرر أن يُسرِع بسيارته إلى حيث كان «هومو» مع تاجر السلاح «والتروليامز» … ولكنه لم يكد يُدر محرك السيارة، حتى شاهد سيارة «والتر» تقف ويَنزل منها «هومو» … بقامته المرتفعة …

انتظر «أحمد» لحظاتٍ حتى انطلق «والتر» بسيارته، وبدأ «هومو» التحرُّك ناحية الفندق، فنزل «أحمد»، وأسرع إليه قائلًا في صوتٍ خافتٍ: «هومو» … «هومو».

توقَّف الرجل بعد أن وضع يده بسرعةٍ على مقبض مسدسه …

قال «أحمد»: لا تدخل الفندق.

عرف «هومو» صوت «أحمد» فاتجه إليه، فقال «أحمد» هامسًا: لقد قتلوا «مارك».

ردَّد «هومو» الجملة مذهولًا: قتلوا «مارك».

أحمد: نعم، وقد اضطررتُ للهرب من الفندق خوفًا من استجواب رجال الشرطة.

هومو: خيرًا فعلت، ولكن من الذي قتله.

أحمد: إنه ليس أنا طبعًا.

هومو: ليس هذا وقت المزاح، هل عرفت من الذي قتله.

أحمد: طبعًا لا.

هومو: إنها مشكلةٌ معقَّدةٌ.

أحمد: كيف.

هومو: إن «مارك» هو الذي يَعرف مكان الكوخ الذي سيتمُّ فيه تسليم رسومات العقل الإلكتروني.

أحمد: هذا مأزقٌ خطيرٌ.

هومو: هيَّا بنا يجب ألَّا نعود إلى الفندق مطلقًا.

ركب الاثنان السيارة، وتولَّى «هومو» القيادة حتى وصلا إلى نفس المكان الذي كان فيه «هومو» منذ ساعةٍ، وأطلق «هومو» ضوء السيارة ثلاث مراتٍ، وفُتح الباب فورًا، واجتازا الحديقة المُظلِمة، ووقفا أمام باب الفيلا، ثم نزلا واجتازا صالة مغطَّاة بالسجاد الفاخر، ودخلا غرفة مكتب أضاء «هومو» أنوارها، ثم جلسا.

قال «هومو»: مشكلة.

أحمد: فعلًا.

هومو: ولكن أين كنتَ عندما قُتل «مارك».

أحمد: كنت أشعر بأرقٍ فنزلت إلى صالة الفندق؛ لأتناول بعض المشروبات، ثم خرجت إلى الحديقة لأتمشَّى ... فمن عادتي أن أمشي قليلًا قبل النوم.

هومو: كم استغرق كل هذا من الوقت.

أحمد: ربما ربع ساعةٍ فقط، ولكن أين كنت، إنهم يبحثون عنك وعنِّي.

لم يبدُ على وجه «هومو» أيُّ تأثيرٍ، وقال: كان عندي مُهمةٌ ليلية، فقد اتصل بي مستر «بليك» من لندن، وطلب منِّي الذهاب إلى شخصٍ معينٍ للاتِّفاق معه على صفقة، والحصول منه على معلومات.

أحمد: وهل قتل «مارك» يُغير من خطتنا.

هومو: لا ... لقد فكرت طوال الطريق، أن الرجل الغريب ينتظر في كوخٍ صغيرٍ داخل الغابة ومعه الرسومات ... وهو في انتظار وصول الرجال الذين سيُسلِّمونه الرسومات، وبعد أن يخرجوا سنقوم بمهاجمته.

أحمد: ولكنَّنا لا نعرف الطريق إلى الكوخ.

هومو: سوف أحلُّ المشكلة، سنعرف من هم الرجال الثلاثة الذين سيسلمون الرسومات، وسيركبون «التلفريك» مبكرًا، وسنتبعهم.

أحمد: عظيم.

هومو: لتذهب إلى النوم الآن، فأمامنا غدًا عملٌ شاق.

أحمد: فعلًا.

غادرا المكتبة، ودلَّ «هومو» «أحمد» إلى الطريق إلى غرفة نومه ... وتبادَلا تحية المساء، وبعد دقائق كان «أحمد» مُستغرقًا في نومٍ عميقٍ ...

الرجل الغريب

استيقظ «أحمد» على صوت باب غُرفته، وهو يُفتَح بهدوءٍ ... فقفَز واقفًا ومسدَّسه في يده، ولكن لم يكن هناك ما يَستحق الفزع ... فقد كان «هومو» يدخل وهو يَحمل صينية عليها طعامُ إفطارِ «أحمد» ...

قال «هومو»: صباح الخير.

ردَّ «أحمد»: لقد أفزعتني.

ابتسم «هومو» لأول مرةٍ، وقال: كنتُ أريد أن أختبر ردَّ فعلك، والواقع أنه أكثر من ممتازٍ ... ولو شاء أيُّ شخصٍ أن يُفاجئك لما استطاع.

تناول «أحمد» إفطارًا سريعًا، وأسرع خلف «هومو» إلى السيارة، ولدهشتِه وجد «هومو» قد أعدَّ أدواتٍ جديدةٍ للانزلاق وأسلحةً ممتازةً، وأدرك أنه يَتعامل مع مُحترفٍ، يعرف كيف يُنجز مهمته.

بعد مُضيِّ أقل من ربع ساعةٍ من استيقاظ «أحمد» كانت السيارة تَنطلِق بهما فوق الجليد البراق إلى محطة «التلفريك» ... حيث كانت الرحلة الأولى تبدأ في السادسة صباحًا بالضبط ...

وفي الطريق قال «هومو»: إن مصرع «مارك» يُعدُّ لغزًا شديد التعقيد ... فليس هناك من يعلم بوجودنا، إلا نحن الثلاثة و«بليك».

أحمد: هذا ليس أول كمين يقع فيه رجالنا، لقد قُتل منهم قبل هذه الحادثة ثلاثة آخرون.

هومو: لقد سمعتك قبل الآن تتحدَّث عن وجود خائنٍ في صفوف المنظمة.

أحمد: كان هذا مجرَّد استنتاجٍ.

هومو: ألم تحصر شبهتك في شخصٍ معينٍ؟ ...

أحمد: لا ... كيف أعرف ... لا بد أن «بليك» عنده معلومات أكثر.

هومو: إن «بليك» مثلي ومثلك يبحث عن هذا الخائن.

وساد الصمت ... بينما كانت السيارة تشقُّ طريقها إلى محطة «التلفريك» وصلا في الموعد المناسب، وقاما بارتداء أحذية الانزلاق ...

كانت هناك عشر دقائق باقية على انطلاق «التلفريك» في رحلته الفضائية بين الجبال ...

وكان «أحمد» و«هومو» يَبحثان عن ثلاثة رجالٍ ... هم الذين سوف يذهبون لمقابلة الجاسوس الذي يحمل رسوماتِ العقل الإلكتروني العملاق ... وكانا يظنَّان أن عدد الركاب في هذا الصباح المثلج لن يكون كثيرًا، ولكن المفاجأة أن «التلفريك» كان كامل العدد، ويحمل نحو عشرين شخصًا ...

وقد كان المفروض أن يحمل أحد الرجال الثلاثة الحقيبة التي تَحمل الرسومات للرجل الغريب ...

ولكن لم يكن بين الركاب من يحمل مثل هذه الحقيبة التي كانت لا بدَّ أن تكون ضخمةً ...

ولكن «أحمد» فكَّر في ذهنه أنه من المُمكن تصوير هذه الرسومات الضخمة على «ميكروفيلم»، ويُمكِن حمل هذه الأفلام كلها في لفةٍ صغيرةٍ لا تَزيد على حجم علبة السجائر.

انطلق «التلفريك»، وتحدَّث «أحمد» و«هومو» همسًا أنهما سيَتبعان أيَّ ثلاثة أشخاصٍ يتحركون في اتجاهٍ واحدٍ ...

ومضى التلفريك في رحلته ... وعندما وصل إلى محطة الوصول ... أسرع «هومو» إلى «أحمد» قائلًا: لقد تعرَّفت عليهم.

أحمد: عظيمٌ جدًّا.

أشار «هومو» إلى رجلٍ ضخمٍ يلبس ملابس حمراء داكنة، وقال: هذا هو رئيسُهم.

أحمد: سنتبعه.

عندما خرجوا من المحطة إلى الفضاء كان منظرًا لا يُنسى ... الجبال مُغطاةٌ بالثلوج ... الأشجار الغارقة في الثلج تشبه أسماكًا صغيرة في نهرٍ متجمدٍ ... قليل من الطيور تنتقل بين قمم الأشجار البارزة ... كل شيءٍ أبيض كأنه لوحةٌ رسمها فنان بلونٍ واحدٍ ...

قال «هومو» هامسًا: إذا افترقنا، فسوف نلتقي مع «بليك» في «لندن»، والعنوان «أرابيلا كورث» المتفرِّع من «آبي رود»، هل حفظت العنوان؟

أحمد: «أرابيلا كورث» من «آبي رود».

واستعدَّ الجميع للانزلاق ... كانت عينا «أحمد» على الرجل الذي يرتدي الملابس الحمراء ... أو الرجل الأحمر كما فكَّر فيه ...

انطلق الجميع في اتجاهاتٍ مختلفةٍ ... وانتظر «أحمد» حتى تحرَّك الرجل ذو الرداء الأحمر، وتبعه ... كان الرجلان الآخران يتبعانه عن بُعدٍ ... ولكن الثلاثة وخلفهم «أحمد» كانوا ينطلقون في خطوطٍ متوازيةٍ تقريبًا ... وأخذ «أحمد» يبحث عن «هومو»، واستطاع أن يَلمحه ينزلق خلفهم جميعًا ...

كان «أحمد» معه مجموعة ممتازة من الأسلحة، بالإضافة إلى الخنجر الذي ربَطه خلف ساقه، وكان وهو يَنزلِق سريعًا على جوانب التلال الثلجية يُفكِّر في الخائن الذي قتل حتى هذه اللحظة أربعةً من أعوان «بليك» آخرهم «مارك» ...

من هو الخائن؟! هل هو «هومو»؟! أم أنه خارج المنظمة، ويعرف كل شيءٍ عنها مثل «والتر» تاجر الأسلحة؟! وما دخْلُ تاجر الأسلحة في هذه العمليات كلها؟! ...

ولماذا قابل «هومو» ليلًا؟ أسئلة كثيرةٌ بلا إجابةٍ عليها.

اتجه الرجل الأحمر إلى قلب الغابة ... وتبعه الرجلان عن بُعدٍ ... وخلفهم «أحمد» ... كان يحفظ الخطة جيدًا ... الرجال الثلاثة سيُسلمون الرجل الغريب الرسومات المطلوبة للعقل الإلكتروني العملاق، ويسلمهم الثلاثمائة مليون دولار، وعندما يخرجون ... يدخل «أحمد»؛ ليأخذ الرسومات من الرجل الغريب.

ظل الرجل ذو الرداء الأحمر يشقُّ طريقه لمدة عشر دقائق، ثم انحرف يمينًا، وتبعه «أحمد»، وكان من السهل عليه وسط الثُّلوج البيضاء أن يرى الرجل ذا الرداء الأحمر بوضوحٍ ... لم تكن هناك مشكلةٌ ...

عند تلٍّ من الثلوج المرتفعة ... توقَّف الرجل ذو الرداء الأحمر قليلًا ... وتوقف الرجلان اللذان يتبعاه ... وكذلك توقف «أحمد»، ثم أشار الرجل بيده ناحية مجموعةٍ من الأشجار ... ثم تحرك متجهًا إليها ... وتبعه الرجلان ... وتحرك «أحمد» خلف الثلاثة.

عندما انحرف «أحمد» داخل الأشجار ... أطبق الظلام على المكان ... وشاهد «أحمد» خلف الأشجار كوخًا صغيرًا غطَّته الثلوج، لم يشكَّ لحظة أنه الكوخ الذي سيتم فيه تبادل الدولارات مع الرسوم ... لم يعد ممكنًا في الظلام الدامس أن يُتابع «أحمد» الرجل ذا الرداء الأحمر، ولهذا اعتمد على أصوات انزلاق الأقدام، وكان متأكدًا أن هذا الانزلاق سيؤدي في النهاية إلى الكوخ الصغير ...

وصل «أحمد» إلى قرب الكوخ ... وتمهَّل بجوار شجرة عالية، حتى وجد الرجال الثلاثة يقتربون من الكوخ، ثم يدخلون.

ظل في الانتظار لحظاتٍ، وسمع في الصمت المُخيِّم صوت طلقاتٍ مكتومةٍ تنطلق داخل الكوخ، ثم شاهد الرجال الثلاثة يخرجون.

اتجه إلى الكوخ على الفور ... وعندما دخل وجد الرجل الغريب مُلقًى على الأرض ميتًا ... وفكر لحظات ثم انحنى على الجُثة، وكانت المفاجأة ... الجثة باردةٌ.

بين نارين

أعاد «أحمد» فحص الجثة مرةً أُخرى ... كانت باردةً، ومعنى هذا أن الرجل قد مات أو قتل قبل وصول الثلاثة بوقتٍ طويلٍ ... وبحث «أحمد» عن الرسومات، ووجد حقيبةً صغيرةً بجوار الجثة، فحمَلها وخرج ...

لم يكد «أحمد» يُغادر باب الكوخ، حتى انطلقت بضع رصاصاتٍ مرت بجوار رأسه ... فعاد إلى الكوخ، أخرج مسدسه من طراز «لوجر» وأعده للإطلاق، ثم فتح نوافذ الكوخ، وحاول أن ينظر إلى الخارج ... كان الظلام دامسًا، انبطح على الأرض في الوقت المناسب، فقد انهمر على الكوخ وابلٌ من الرصاص.

ظلَّ «أحمد» رابضًا في مكانه لحظاتٍ، ثم بدأ يزحف ... فتح باب الكوخ بحذرٍ شديدٍ ... وهو يُقدِّر أنه ما دام لا يرى في الظلام، فإنَّ الذين يُطلقون عليه الرصاص من الخارج لن يروه ... واستطاع أن يخرج من باب الكوخ، وهو يحمل الحقيبة في يده ... وفي يده الأخرى مسدسه.

تدحرج على الثلوج حتى السفح ... ثم توقَّف لحظاتٍ ... وعندما وقف انهالت عليه طلقات الرصاص، ولجأ إلى جذع شجرةٍ ضخمةٍ، وأخذ يَرصُد مصدر الطلقات، ثم أطلق ثلاث طلقاتٍ في الاتجاه الذي حدَّده، وسمع في الظلام آهةً ترتفع من خلف الأشجار، وأدرك أنه أصاب أحد المطاردين.

كان «أحمد» يُفكر ... أين «هومو» الآن؟ ولماذا لا يتدخَّل في الصراع؟!

انتظر «أحمد» لحظات، ثم غادر مكمنه ... تدحرج على السفح المجاور له دون أن يتعرَّض لأخطارٍ، ثم وقف على قدميه.

ومرة أخرى أحسَّ بالألم كالنار في كتفه ... لقد أُصيب ... وحرَّك ذراعه ... وأدرك أن الطلقات أصابت اللحم ... ولكنها لم تُصِب العظم، ووضع يده على مكان الإصابة ... وأطلق مسدَّسه في اتجاه الطلقات ... ثم وقف، وانطلق كالصاروخ في اتجاه محطة «التلفريك».

كانت عاصفة ثلجية تتجمع ... وأحسَّ «أحمد» بمقدمها ... وأخذت الريح تعصف شيئًا فشيئًا ... وأخذت الرؤية تنعدم تدريجيًّا ... وكان «أحمد» يُحدِّد اتجاه «التلفريك» بقمة جبلٍ «سان أنطوان»، ولكن القمة أخذت تختفي تدريجيًّا ... وأدرك «أحمد» أنه في مأزقٍ ودار دورةً سريعةً واسعةً ... ثم اتجه إلى الغابة مرةً أخرى يحتمي بأشجارها من العاصفة التي يُمكن أن تطرحَ به أرضًا، ثم تغمره الثلوج.

أخرج منديلًا من جيبه، وربط الجرح ... ثم أعاد ملء مسدسه بالطلقات ... وكان الظلام يهبط سريعًا مع شدة الريح ... وفجأة لمح «أحمد» على الأرض البيضاء المغطاة بالثلوج نقطةً سوداء تتحرك في اتجاهه، ثم ظهرت نقطةٌ ثانية ... وثالثة ورابعة ... وأحسَّ «أحمد» بالخطر يُحيط به من كل جانبٍ، فقد ظهرت نقطةً أخرى في الاتجاه الآخر، ثم تلتْها ثانية وثالثة وعرف «أحمد» أنها مجموعةٌ من الذئاب الجائعة ... وبدأ يتحرَّك لمُغادَرة مكانه ... ولكن العاصفة جعلته يترنَّح ويقع في مكانه ... واقتربت الذئاب ... وسمع عواءَ قائد القطيع ... ثم تبعه عواء ثانٍ وثالث ... كان القطيع يستعدُّ للهجوم، ... وبسرعةٍ ... ورغم ذراعه الجريحة أخذ يتسلَّق الشجرة التي يقف تحتها ... ولم يكد يرفع قدمه من على الأرض، حتى كان أحد الذئاب يقفز ليَلحق بها، ولكن «أحمد» استطاع بالكاد أن ينتزعها من أنياب الذئب ...

تجمَّعت الذئاب تحت الشجرةِ، ... وارتفع عواءها المخيف مُختلطًا بصوت العاصفة ... وأخذت الثلوج تتساقط بشدةٍ ... وأحسَّ «أحمد» أن الشجرة تترنح به ... وأنها في أية لحظةٍ قد تهوي على الأرض، لم يكن هناك بُدٌّ من أن يُطلِق رصاصةً لتفريق القطيع ... رغم أنه لم يكن يودُّ أن يُطلق نيرانه على حيواناتٍ جائعةٍ ... أطلق ثلاث طلقاتٍ مُتتاليةٍ ... وارتفع عواء الذئاب ... ثم بدأت تتفرَّق ... وانتظر دقائق حتى بدت النقط السوداء تبتعد ...

عندئذٍ سمع صوت طلقات رصاص أخرى من جهةٍ قريبة ... وأدرك أن ثمة من يُريد الاتصال به ... وفكر ... هل هو عدو أو صديق؟

ظل مكانه والعاصفة قد جُنَّ جنونها ... وعادت الشجرة تهتزُّ به ... وقرر النزول ... ولم تكد قدماه تلمسان الأرض حتى انطلقت رصاصة مرت تئزُّ بجوار رأسه ... وأدرك أنه مطاردٌ.

ألقى بنفسه على الأرض وتدحرج ... ثم تذكر الحقيبة، فعاد إليها زاحفًا ... كان الثلج قد انهمر عليها، حتى كاد يغطيها وأخذ يجذبها ويجرها خلفه، كانت ذراعه تؤلمه ألمًا لا يطاق، ولكنه كان مصرًّا أن يَحملها معه ...

خشي أن يخرج إلى الساحة البيضاء المكشوفة، وقرر أن يتوغل في الغابة لتُخفيه عن مكان المطاردين ... ظل يسير مسافةً طويلة، حتى أحس أنه منهك، ولا يستطيع الاستمرار، ولكنه تحامل على نفسه عندما رأى ما يمكن أن يكون هيكل مبنًى صغير غطته الثلوج ...

أخذ يجرُّ نفسه جرًّا في اتجاه المبنى الصغير، حتى وصل إليه ... وكم كانت دهشته، عندما وجده نفس الكوخ الذي خرج منه منذ ساعة أو أكثر ... وفكر أنه أفضل مكان يأوي إليه؛ لأن المُطارِدين لن يتوقَّعوا أن يعود إليه ... فقد وصله من طرف الغابة؛ أي إنه وصل من اتجاهٍ عكس الاتجاه الأول بذل جهدًا جبارًا لفتح الباب؛ فقد كانت الثلوج قد تراكمت عليه، ولكنه في النهاية انفتح ودخل «أحمد»، كان الظلام دامسًا ... فأخرج بطارية صغيرة تزود بها كالعادة في مغامراته ... وأطلق شعاعًا من الضوء وكم كانت دهشته عندما لم يجدِ الرجل القتيل الذي رآه في نفس المكان منذ ساعة.

تفقَّد الكوخ من الداخل ... كان به غرفة نوم تتسع لثلاثة أشخاصٍ ... ومطبخ، وأسرع يعدُّ لنفسه كوبًا ساخنًا من الشاي ...

جلس يشرب الشاي ويُفكر ... كيف اختفت الجثة؟ ... من هم الذين يطاردونه؟ أين «هومو»؟

كيف يتصرف بعد أن تهدأ العاصفة.

فتح خريطة وُزعت عليهم في محطة «التلفريك» تُوضِّح معالم المنطقة، ووجد أنه قريبٌ جدًّا من خطٍّ حديديٍّ يمرُّ بالمكان، وكانت المحطة لا تَبعُد عنه أكثر من ثلاثة كيلومترات ... وقرر ألا يعود إلى محطة «التلفريك»، فلا بدَّ أن مُطارديه سينتظرونه هناك ...

ارتاح نصف ساعة على أحد الأسرَّة التي في الغرفة ... وكانت العاصِفة قد بدأت تهدأ، فعاود الوقوف ... وأحس ببعض الضعف.

ولكنه تماسَك، وحمل الحقيبة وفتح الباب مُحاذرًا ... كان الثلج يَسقط ناعمًا مُتراخيًا ... فقد هدأت العاصفة ... وحدَّد اتجاهه، ثم خرج وأخذ يسير مسرعًا بقدر ما تستطيع قوته المنهكة ... ولحسن الحظ لم يفقد الطريق، واستطاع أن يصل إلى محطة صغيرة قابعة وسط الثلوج، وتقدم مُتثاقلًا منها وهو يجرُّ ساقَيه ... وجلس على أول مقعد صادفه، وتخلص من أدوات الانزلاق، وأخذ ينظر حوله في قلق ...

مفاجأة في القطار

بعد راحةٍ قصيرةٍ دخل «أحمد» إلى المحطة ... لم يكن فيها إلا موظَّفٌ واحد ... رجلٌ عجوز يتسلَّى بحلِّ الكلمات المتقاطِعة ... ويبدو أنه لم يكن يتوقَّع أن يرى أحدًا في هذه العاصفة ... فرفع عينَيه، وخلع النظارة ونظر إلى «أحمد» في دهشةٍ ...

قال «أحمد»: صباح الخير يا سيدي.

ردَّ الرجل تحية الصباح، ثم نظر إلى الدماء تُغطِّي كتف «أحمد»، فقال «أحمد»: لقد أُصبت أثناء جولةٍ في الغابة.

الرجل: يجب أن تَعرض نفسك على طبيبٍ فورًا، إنك شاحبٌ جدًّا.

أحمد: متى يأتي القطار.

نظر الرجل إلى ساعةٍ عتيقةٍ أمامه، ثم قال: إنه على وشك الوصول.

أحمد: تذكرة من فضلك إلى جونولييه.

كان «أحمد» يعرف أن هناك مصحَّة عالمية، يعمل فيها طبيبٌ مصريٌّ قريب له.

وشكر «أحمد» الرجل، وانتظر داخل المحطة، حتى توقف القطار، فأسرع إليه، لم ينزل منه إلا راكبٌ واحدٌ ... ثم أطلق القطار صفارته وانطلق، واستلقى «أحمد» في مقعده، وأغمض عينيه، وأخذ يستعرض شريط الأحداث التي مرت به، منذ قال له رقم «صفر» إن في المنظمة خائنًا يقوم بالوشاية بهم، وأنه فقد ثلاثة من أفضل رجاله في عملياتٍ مضمونةٍ ... ثم رحلته إلى «نابولي» ومقابلة «مادونا» ... ومغامرة الليل في «نابولي»، ثم رحلته لمقابلة «مارك» في مطار «روما» و«هومو»، وخطة الاستيلاء على رسومات الكومبيوتر العملاق، والرجل القتيل في الكوخ ... ثم اختفاء هذا الرجل بعد ساعةٍ، أشياء لا تُصدَّق، ونظر إلى الحقيبة التي يُساوي ما بها ٣٠٠ مليون دولار ... وفكر أن يحملها مباشرةً دون الالتقاء

برئيس شبكة العملاء في أوروبا «بليك» كانت هذه أفضل خطةٍ فهو في حاجةٍ إلى علاجٍ سريعٍ بعد ما نزف منه من دم ... وهو في حاجةٍ إلى الحديث إلى رقم «صفر»؛ ليحكيَ له كل الأحداث التي مرَّت به ...

وتوقف القطار في محطةٍ ... ثم استأنف السير ... وبعد دقائق فُتح باب المقصورة التي يجلس بها «أحمد»، ودخل أحدُ الركاب ... وعرف «أحمد» دون أن يَرفع رأسه مَن القادم ... كان «هومو».

رفع «أحمد» عينَيه إلى «هومو» الذي قال وهو يجلس: توقعتُ أن أجدك هنا.

أحمد: إنك شديد الذكاء يا «هومو»، ولكن أين كنت؟

هومو: لقد عزلتني العاصفة عنك.

أحمد: لقد كنت مُعرضًا للقتل.

هومو: لقد سمعت بضع طلقاتٍ، ولكنني لم أتوقع أن تكون موجَّهةً إليك.

ونظر «هومو» إلى الحقيبة، وقال: لقد حصلتَ عليها.

أحمد: وكنت سأدفع حياتي ثمنًا لها.

هومو: المهمُّ أنك حيٌّ.

جلس «هومو» في مواجَهة «أحمد»، كان القطار خاليًا في هذا اليوم العاصف، وتأكَّد «أحمد» أنه لم يَلتقِ به مصادفةً، وأنه كان يبحث عنه ... عاد «هومو» إلى الحديث: إلى أين أنت ذاهبٌ؟

أحمد: إلى جونولييه ...

هومو: ولماذا جونولييه؟

أحمد: لأتلقَّى علاجًا سريعًا ... لي قريبٌ هناك سوف أذهب إليه، حتى لا أتعرَّض للاستجواب بسبب الرصاصة.

هومو: هل الرصاصة ما زالت في كتفك؟

أحمد: لا ... إنها نفذت من اللحم.

هومو: من السهل أن تقول إنك أُصبت بشيءٍ آخر.

أحمد: لكن أنا الآن في حاجةٍ إلى الراحة.

هومو: إن جونولييه لا تَبعد عن «جنيف» بأكثر من خمسين كيلومترًا ... فدعنا نذهب إلى «جنيف»، وسأتولَّى العناية بك هناك.

أحمد: وهذه الحقيبة.

هومو: سأُحدِّث «بليك»؛ ليُرسل من يتسلمها.

أحمد: لقد انتهت مهمَّتي معكم، وجئتُ بالحقيبة، فخذها أنت ودعني أذهب إلى جونولييه.

هومو: كيف تتصوَّر أن أتخلَّى عنك وأنت مصابٌ؟

أحمد: إن هناك ما هو أهمُّ ... خُذ الحقيبة واذهب إلى «بليك»، أما أنا فسأذهب إلى جونولييه.

كان القطار يقترب من المحطة التي سينزل فيها «أحمد»، فقام واقفًا ... حاول «هومو» أن يمنعه، ولكن «أحمد» أصرَّ على النزول، فقال «هومو»: سآتي لتوصيلك إلى المكان الذي ستذهب إليه.

نزلا معًا ... واستقلَّا سيارةً، وطلب «أحمد» الذهاب إلى مصحَّة جونولييه، وانطلقت السيارة وساد الصمت بين «هومو» و«أحمد» طوال الطريق الذي استغرق نحو ساعةٍ، وصعدت السيارة تلًّا مرتفعًا، ودارت مراتٍ، ثم وقفت أمام المصحَّة الضخمة ... فنزل «أحمد»، ودارت السيارة وعادت تحمل «هومو» ومعه الحقيبة ...

اتجه «أحمد» إلى الاستقبال، تحدث مع الموظفة، وطلب منها توصيله بالدكتور «حسين» الذي ردَّ على الفور، ولم يكد يسمع صوت «أحمد»، حتى صاح: أين أنت؟!

أحمد: إنني في الاستقبال.

حسين: استخدم المصعد على اليمين، وأنا في انتظارك في الدور السادس.

ركب «أحمد» المصعد ... كان يُحسُّ أن الدنيا تدور ... لقد نزَف كثيرًا من الدماء ... وعانى كثيرًا من المشقَّات، وعندما فتح باب المصعد ليخرج، وما إن رأى وجه الدكتور «حسين» ابن عمه ... حتى ذهَب في غيبوبةٍ ...

عندما استيقظ «أحمد» وجد نفسه في غرفةٍ نظيفةٍ بيضاء، وشاهد وجه الدكتور «حسين» يلفُّ ويدور ... ثم قال «حسين» مبتسمًا: ماذا حدث؟ لقد نزفتَ نصف دمك.

أحمد: هذه قصةٌ طويلةٌ ... كم الساعة الآن.

حسين: إنها الثامنة مساءً.

أحمد: هل أستطيع الاتصال بالقاهرة.

حسين: طبعًا ... فورًا ... بالمناسبة هناك شخصان سألا عنك، وقد قلتُ لهما إنك لا تستطيع الحديث تليفونيًّا.

أحمد: هذا أفضل ... ولا تدعهما يدخلان إلى غرفتي مُطلقًا.

حسين: هذا ممكنٌ ... ومن المُمكن ألا أجعلهما يدخلان المستشفى أصلًا، هناك حرسٌ.

أحمد: اتصل بهذا الرقم في القاهرة فورًا.

رفع الدكتور «حسين» السماعة، وطلب الرقم بعد إضافة «الكود نمبر» بين سويسرا والقاهرة، وعندما سمع الجرس على الطرف الآخر ناول «أحمد» السماعة، ثم غادر الغرفة.

جاء صوتٌ من القاهرة واضحًا ... يسأل: من؟

أحمد: أنا رقم واحد.

الصوت: أين أنت يا رقم واحد؟ إن رقم «صفر» يسألُني عنك كل دقيقةٍ.

أحمد: كنت في مهمةٍ كلَّفني بها «بليك».

الصوت: ليست عندي معلوماتٌ عن هذه المهمة.

أحمد: اطلب من رقم «صفر» أن يَحضُر إلى «جنيف» أنا في مصحَّة جونولييه الوقت ضيقٌ، لقد عرفتُ الخائن.

ووضع «أحمد» السماعة، وقد أحسَّ بإعياءٍ شديدٍ.

أحداث في الظلام

دخل الدكتور «حسين» على «أحمد»، وخلفه مُمرضةٌ تحمل طعام العشاء ... وانقضَّ «أحمد» على الطعام يتناوله في شراهةٍ ... فهو لم يتناول شيئًا منذ أكثر من ثلاث عشرة ساعة.

قال الدكتور مبتسمًا: إنَّ صحتك على ما يُرام ... فمن دلائل الصحة الجيدة الإقبال على الطعام.

أحمد: الحمد لله.

حسين: سأُعطيك منومًا، حتى لا تُصاب بالأرق، فسوف يعاودك الألم بعد زوال المخدر.

أحمد: كما ترى.

وتناول «أحمد» القرصين اللذين قدمهما «حسين» وبلعهما.

حسين: بعد نحو نصف ساعةٍ ستَذهب في سباتٍ عميقٍ، وسأذهب الآن لأن عندي عملًا آخر ...

أحمد: شكرًا لك.

خرج «حسين» واستلقى «أحمد» على ظهره فوق الفراش النظيف، وأخذ يتصور ماذا يمكن أن يحدث في المقر السري بعد أن أبلغ بضرورة حضور رقم «صفر»، وهي أول مرةٍ يَستدعي فيها رقم «صفر» لعلاج موقفٍ معينٍ ... إنَّ فارقَ التوقيت بين «جنيف» ومقرِّ المنظَّمة هو ساعة ... ونظر إلى ساعته ... كانت الثامنة والنصف، فهي الآن في المقر التاسعة والنصف ... فإذا استطاع رقم «صفر» تدبير طائرةٍ فورًا، فإنه يصل إلى «جنيف» بعد أربع ساعاتٍ تقريبًا؛ أي بعد منتصف الليل بنصف ساعةٍ، ثم نصف ساعة إلى جونولييه في السيارة فيصل في الواحدة بعد منتصَف الليل، فإذا لم يستطع تدبير طائرةٍ إلَّا في الصباح،

وهذا هو الأغلب فسيصل بين العاشرة صباحًا ومنتصف النهار ... وفي الحالتين هو في مأمنٍ بواسطة رجال الأمن في جونولييه ... إن كل ما يرُيده الآن هو أن يقول لرقم «صفر» اسم الخائن الذي تسبب في قتل ثلاثة من أعوان رقم «صفر» وربما أربعة بعد مصرع «مارك»، ومن الواضح أن الخائن يُريد تمزيق منظمة الشياطين الـ «١٣» لحسابه الخاص أو لحساب جهةٍ أخرى.

وأخذ النُّعاس يتسلَّل إلى «أحمد» تدريجيًّا ... وسرعان ما ذهب في سباتٍ عميقٍ ... سمع «أحمد» صوتًا بعيدًا يُناديه ... ويد تهزُّه برفقٍ ... خُيِّل إليه أنه في حلم وتحت تأثير المنوم، لم يدرِ ما هي الحقيقة ... وحاول أن يفتح عينيه ... ولكنه لم يستطع ... وكان اسمه يتردَّد باستمرار «أحمد» ... واليد التي تهزه ما زالت تهزه ...

فتح عينيه بصعوبةٍ ... كانت الغرفة تسبح في ظلامٍ داكن ... ولكنه استطاع أن يميز ثلاثة أشباح في الغرفة ... مرة أخرى سمع اسمه وردَّ في وهَن: نعم.

قال صاحب الصوت: أنا رقم «صفر».

وتنبهت حواس «أحمد» ... ولكنه ظلَّ يُحسُّ أنه في وادٍ سحيقٍ أو بئرٍ عميقٍ ...

عاد رقم «صفر» يقول: لقد وصلتني إشارتك، ومن المهمِّ جدًّا أن أعرف الآن من هو الخائن.

استجمع «أحمد» كل قواه وحاول النهوض، ولكن رقم «صفر» قال: ابقَ كما كنت ... من هو الخائن؟

ردَّ «أحمد» في صوتٍ واهنٍ: إنه «بليك».

ساد الصمت لحظاتٍ، ثم قال رقم «صفر»: هل أنت متأكدٌ.

أحمد: نعم.

ساد الصمت مرةً أخرى، وأحسَّ «أحمد» أنَّ الأشباح الثلاثة تتحرَّك في الغرفة بسرعةٍ ... وأدرك أن ثمة شيئًا يحدث ... وقال رقم «صفر» بلهجةٍ حاسمةٍ: تظاهرْ بالنوم ... ولا تخَفْ شيئًا.

واختفت الأشباح الثلاثة ... وأحسَّ «أحمد» بأن باب الغرفة يُفتح ... وسمع صوت خطواتٍ خافتةٍ تتجه إليه ... واستطاع من خلال نظرةٍ خفيةٍ أن يرى شبحًا ضخمًا عرف على الفور أنه «هومو»، وكان معه رجلٌ آخر.

سمع «هومو» يقول: إنه هو.

قال الرجل الآخر: لا داعي لاستخدام المسدس ... استخدم الخنجر.

وشاهد «أحمد» ذراع «هومو» تَرتفع بخنجرٍ وتتجه إليه عندما سمع في نفس الوقت صوت رقم «صفر» يقول في لهجةٍ آمرةٍ: قفْ مكانك يا «هومو».

وانقضَّ شَبحان على «هومو» فجرَّداه من سلاحه، بينما سمع «أحمد» رقم «صفر» يقول: أنت يا «بليك» ... أنت الخائن ... أنت رئيس شبكة رجالي في أوروبا تخونُني؟!

لم يردَّ «بليك»، وفجأةً شاهد «أحمد» أحد الأشباح يتجه إلى النافذة، ويحاول فتحها، ولم يشك لحظةً أنه «بليك» يُحاول الهرب ... ولكن أحد الأشباح لحق به ... وهوى عليه بضربةٍ قويةٍ وسقط «بليك»، وتلقَّفه الرجل بين ذراعيه حتى لا يسقط ويُحدث ضجةً في المُستشفى الهادئ.

قال رقم «صفر»: وأنت يا «هومو» ... ألم أُساعدْك وأجعلك من أهم رجال المنظَّمة في «أوروبا»؟!

ردَّ «هومو» بصوتٍ كفحيح الثعبان: إنه «بليك» يا سيدي، لقد كنتُ أظن أن ما أفعله هو تعليمات صادرةٌ منك ... وقد أقنعني أن نقوم بصفقة سلاح تُريدها المنظَّمة ... ثم وضع خطةً لسرقة رسومات العقل الإلكتروني العملاق من الرجل الغريب، والتخلُّص من رقم واحد كطلبك.

رقم «صفر»: هل يُمكِن أن تتصوَّر أن أُضحي برقم واحد لأي سببٍ.

تحدث «أحمد» بصوتٍ ضعيفٍ وقد استردَّ كثيرًا من وعيه: لقد اكتشفتُ الحقيقة بعد وصولي إلى نابولي بقليلٍ ... فمن خلال الأشرطة التي سجَّلها «جياكومو» عرفتُ أن «بليك» يُصدر تعليماتٍ وهميةً بعملياتٍ لا تقوم بها منظَّمة الشياطين أبدًا ... وعندما يذهب الرجال لتنفيذ هذه المهام، يتمُّ القضاء عليهم.

وسكت «أحمد» لحظات، ثم قال: وكنتُ أعرف أن الاستيلاء على رسوم العقل الإليكتروني العملاق مهمةٌ وهميةٌ ... إنك لا تقرأ الصحف يا «هومو» إن صفقة الرسوم تمَّت على حدودٍ بين كندا والولايات المتحدة ... ولم تتمَّ أبدًا داخل أوروبا ... ولكني فضلت أن أتأكد من الحقيقة.

هومو: لماذا لم تقلْ لي.

أحمد: لا تتظاهر بالبراءة ... لقد تأكَّدت أنك قتلت «مارك» قبل أن تُغادر الفندق تلك الليلة عندما ذهبت مع تاجر السلاح «والتر»، وكنتَ تَعرف أنني أتبعك، لهذا تركت مفاتيح سيارتك فيها حتى أبتعد عن مسرح الجريمة لحين عودتك.

رقم «صفر»: لا تُجهد نفسك أكثر يا «أحمد» ... لقد انتهى كل شيءٍ الآن.

وأحسَّ «أحمد» بيد رقم «صفر» تُربِّت عليه في الظلام ... ولأول مرةٍ منذ فترةٍ طويلةٍ يحسُّ بالراحة والأمن والهدوء.

في صباح اليوم التالي كان «أحمد» يستعدُّ للخروج من مصحَّة جونولييه ... عندما وصلت إلى غرفته باقةٌ رائعةٌ من الورود ... عليها كلماتٌ رقيقةٌ من رقم «صفر»، ثم هذه الجملة: تسافر فورًا إلى «نابولي» ... إنَّ «مادونا» في انتظارك.

وابتسم «أحمد» وخرج إلى الهواء الطلق والشمس التي سطعت بعد العاصفة.

هنـــداوي